قصص

كتاب الفتوح الكبرى
المعروف
بحروب بلاد نمنم

خيرى عبد الجواد



كتاب الفتوح الكبرى
المعروف بحرب بلاد تمنم
المـــــؤلـــــف : خـيرى عبد الجـواد
الغـــــلاف : محمـــد بغـــدادى
إخـــراج داخـــلى : محمـــد الغليـــونى
الطبعـــة الأولـــى : اكتـــوبـر ١٩٩٦
الناشـــــر :
الجمع والصف الالكترونى :
مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر

٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة
ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيداع : ٩٦/٧١٤٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-5121-88-4

إلى الأمير : باسم ،

ابن الحكايات ...

بلاد نمنم

لو رأى أحدكم ما رأيت لصدق ما أقول . بعينى هاتين رأيت أحدهم فكدت أفارق من شدة ما رأيت . اسمعوا ، أحكى من البداية : صلوا على النبى ...

الحرب كانت قائمة بيننا وبلاد غنم ، وفى بولاق الدكرور ، بالتحديد فى شارع همفرس ، وتقع أعلى عمارة ، ذات صباح قام رجال الدفاع الشعبى بتركيب صفارة إنذار كبيرة إذا انطلق صوتها أرعب البلد كلها واختفينا فى غمضة عين . تم حفر خنادق لولبية إذا دخلها الإنسان لا تعرف له طريق «جُرة» ورأينا رجال الدفاع الشعبى يقومون بأول تجربة عملية لمقاومة الأعداء تجمعنا كلنا أمام شارع عشرة الذى تمت فيه التجربة ، أخذوا يصعدون العمارة - واحداً فواحداً - ربطوا حبلاً أعلى العمارة وأسقطوه فى الشارع ، حين انطلقت صفارة الإنذار رأيناهم ينزلون على الحبل فرداً فرداً ونطق الميكروفون : برافو عبد القوى ، ها هو ينزل فى سهولة ويسر ، أحسنت يا محروس ، شبك قدميك فى الحبل جيداً ولا تنظر تحتك . ووقعت خوزة أحدهم الحديدية على أحد المشاهدين فمات من وقته وساعته .

جاءت التجربة الثانية فكانت أشد خطراً ، وسمعنا فى الميكروفون يا أهالى بولاق الدكرور ماذا تفعلون إذا جاء أعداؤنا من بلاد غنم وقاموا بإشعال الحرائق ، رد صادق العلاف فى صوت لم يسمعه أحد : نبقى مش رجاله وحلال فينا الحرق بجاز .. رأينا خرطوماً أبيض غليظاً ، طويلاً جداً ممدوداً بطول الشارع ، أشعلوا النار فى كومة الأقفاص والقش فبانت

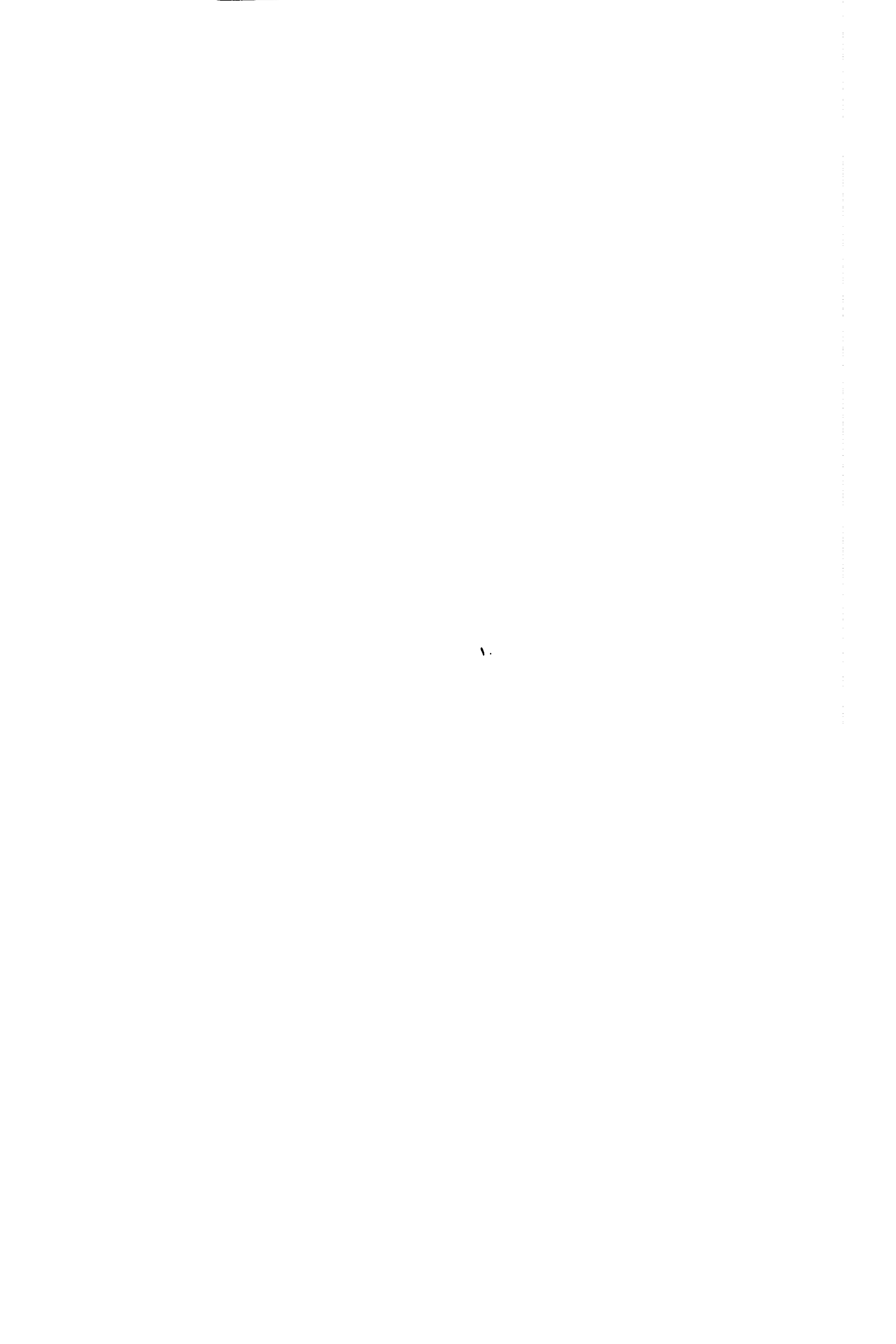
النار قوية «موهوجة» كنار الأعداء . انطلقت صفارة الإنذار ، رجال الدفاع الشعبى يقفون صفاً واحداً بطول شريط الخرطوم ، انحنوا عليه فجأة لما انطلقت الصفارة ، أمسكوا بالخرطوم ووجهوا رأسه للحريق ، انتفض الخرطوم وانتفخ فانتفض معه الرجال ووقع البعض وحدث اضطراب عظيم غرقت معه المحلات والبيوت ، وكانت النار قد أكلت الأقفاص والقش ، وانطلق صوت الميكروفون : برافو ياولاد تجربة ناجحة.

رأيتهم يستعدون للحروب ، وصوت الميكروفون أبو هورن كبير «يلعلع» فنحس بأن الحرب آتية ولا بد من المواجهة ، وأننا قد نلمح أحدهم فى أية لحظة فماذا نفعل ؟ وكيف نتصرف ؟ خاصة وهم يأكلون لحوم البشر أمثالنا ، وأشكالهم مخيفة فهل نحتمل نحن رؤية رجل بذيل طويل يأكل لحم عدوه أو حتى أخيه حياً !!

هذا ما حدث بالفعل ، حين سمعنا ذات صباح بالخبر : طائرة الأعداء الآتية من بلاد غنم ، وقعت فى بولاق الدكرور ، بالتحديد فى جنينة الخواجه همفرس ، انطلقنا لحظة سماع الخبر وفى أيدينا كل أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة ، حملت معى «مسطرين» أبى وحمل أخى «كوريكاً» ورأيت أغطية «الحلل» والشوك والسكاكين فى الأيدى ، الكل يجرى ناحية الجنينة لرؤية الآتى من بلاد غنم، الرعب داخل الصدور من لقاء ابن غنم أبو ذيل آكل لحوم البشر . لما اقتربنا، لمحنا شيئاً معلقاً فى شجر الخواجه همفرس، اقتربنا أكثر ورفع كل واحد سلاحه ، ها هو ابن غنم ، أحد أعدائنا ، «مدلدلاً» فى حالة تسرنا وتسوؤه ، تشده خيوط كثيرة إلى الشجرة ، يرفس بقدميه هواء بلدنا ، بجانبه يرقد حطام

الطائرة وقد عدمت العافية . التففنا حوله فكنا دائرة كبيرة كانت تضيق وتقترب من العدو ، ولمحنا الخواجه همفرس يقف أعلى قصره ويشير بيده إلينا : ابتعدوا يا غجر عن الجنينة . لكنا اقتربنا حتى أصبحنا تحت عدونا تماماً ، نظرنا جميعاً إليه ، أين ذيله ؟ قلنا أخفاه فى ملابسه فمزقناها لم نر شيئاً فوقعنا فى بلبلة ، لابد أن يكون عدونا بذيل فأين هو إذن سمعنا صوت الميكروفون : الدفاع الشعبى يناشدكم ضبط النفس، ابتعدوا عن الهدف . كانت الناس تبتعد ، حين صرخت : أنا رأيت ذيل ابن ثمنم لم يسمعنى أحد ، كانت الناس تقترب من قصر الخواجه همفرس ، أصبحوا تحته تماماً أشار لهم أن ابتعدوا ياغجر فاقتربوا أكثر صرخوا فى نفس واحد : انظروا ، ها هو ذيله ، ابتعدوا يا غجر ، لكننا اقتربنا ثم أننا دخلنا قصر الخواجه همفرس .

* * *



جينيتر

فى لحظة واحدة كانت المعركة قد بدأت ، ولم يكن هناك فرصة واحدة للتراجع ، ولابد لنا من هزيمة الأعداء شر هزيمة وإلا أعدمونا العافية ولا نستطيع رفع أعيننا فى وجوه الأبالسة أولاد الكلاب .

أصل الحكاية أن سعيد فرجانى - تعرفونه طبعاً - لأنه سوف يهدد أباه بالانتحار فيما بعد ويموت هو وأمه فى ليلة مفترجة ، وذلك لأنه رآه يعاكس البنت توحه ، وأبكى عليه كثيراً لأنه صاحبى الذى مات كافراً .

قال لى وكنا فى المساحة : تيجى تشتغل معايا وبالنص .

فأحضرنا عدة الشغل وهى «شنطة» ملآنة بأنابيب البوتجاز الصغيرة حملتها فوق كتفى ومشينا حتى وصلنا سور وزارة الزراعة لأن أباه يعمل هناك ، وعلى السور رصصنا عدة الشغل وكتبنا : جمال وسعيد القص - ملو وتصليح جميع أنواع الولاعات ثم أننا جلسنا أنا من ناحية وهو من ناحية على السور ، وأشار بيده إلى الوزارة : أبويا هنا هو الكل فى الكل، دا هو المدير ، سوف أرى أبو سعيد بعد حين كان جالساً على كرسى بجانب باب الوزارة قلت : ياه المدير ، قال آه .. والله . وبينما نحن كذلك إذ جاء الولد سامبو ابن البرابرة ليملأ ولاعته ففرحنا لذلك وكنت قد أحضرت معى كيساً كبيراً من القماش الدمور لنضع فيه الغلة كما يقول سعيد : فأنا ابن سوق وفاهم المسائل أكتر منك . مد الولد سامبو يده بخمسة قروش فضه أخذتها وقبلتها ووضعتها على جبينى ثم وضعتها فى الكيس فاختفت ، ثم أننى عقدت عليها عقدة وشنيطة ، وكانت الدنيا قد أظلمت حين قال لى سعيد عملنا بكام النهاردة ،

دانهارك أزرق باين عليه . مددت يدى إلى جيبى أخرجت كيس الفلوس لأعدها ونتحاسب أنا وشريكى ، ولم يكن هناك سوى قروش الولد سامبو الخمس . أخذها سعيد منى وهو ينظر لى نظرة غيظ وشر وجرى ورائى : والنبى باين عليك وشك فقر ومدوحس ، ثم أنه جرى إلى مقلة اللب فكها وأعطانى خمس تعريفات وقال لى : والنبى خسارة فيك جبت لى النحس منك لله ، فاشتريت بقرشين لب من غيظى وركبت بالباقى .

وفى اليوم التالى فوجئنا - أنا وشريكى - بالولد سامبو جاء لملء ولاعته وجلس بجانب سعيد على السور وتحدثا لمدة ساعة ثم انصرف بعد أن أعطانى خمسة صاغ وضعتها فى الكيس ، هكذا بدأت المعركة .

هى بدأت فى اليوم الأول لرؤيتنا للولد سامبو ، لأن ما حدث بعد ذلك يدل على هذا - صلوا على النبى :

الولد سامبو فوجئنا به ذات يوم فى حارتنا ، وقال لنا : ألعب معكم. فرحب به شريكى سعيد لأنه تصاحب عليه جداً، وبدأنا نلعب : كلوا باميه القطة العاميه، سرقت قميصى، الانجليزى، يا نرجس ، ووقع الدور على الولد وانضمت إلينا كل الشلة وكان يمسكنا كلنا، تضايقنا جداً، ماذا نفعل ؟ هل نقول له : لا تلعب معنا يا سامبو ! عيب، ثم إنه غريب وليس له أصدقاء سوانا ويجب علينا إكرامه . المهم قلنا نتحمل رزالة الولد سامبو ونتشوف يمكن يحس على دمه ويلم نفسه فى أيامه السوداء هذه ، ولكن حدث بعد ذلك ما جعلنا نقرر إعلان الحرب عليه وعلى البرابرة كلهم ناسه .

مر اليوم وراء اليوم ، ونحن نذهب إلى عملنا ، أنا وشريكى سعيد ،

أنا «ألفح» الشنطة على رقبتى حتى أنها «اتلوحت» وسعيد يجلس فوق سور وزارة الزراعة ولا نأخذ سوى المشوار الذى يشبه شغل أم قويق - تقول أمى ، وتقول أيضاً : ياما جاب الغراب لامه ، حتى سامبو هذا لم يعد يأتى ، وكان من الطبيعى طبعاً أن أرمى لشريكى شنطته التى مزقت رقبتى فى الشارع وكنا ذاهبان للعمل فى يوم لا ينفع إلا للنوم ولعب البلى ، فرجع هو أيضاً ، فوجئنا بالولد سامبو فى شارعنا ، فرح سعيد به ولكنى لم أفرح ، وبان الغدر فى عينى وعينه ، ونظر إلىّ من تحت لتحت بنصف عين ، فنظرت إليه مثل ذلك ويزيد ، الشهادة لله خفت .. سامبو مثل فحل الجاموس السائب ، وأنا لا أجيء قدر ركبته ، لم نفسك ياولد ياجمال لو خبطك كف تموت فيها ، ويده ما شاء الله مثل «المرزبة» المهم طلعت بيتنا وكأنى لم أره قالت أمى : أجازة النهاردة وللا إيه . وعوجت فمها جهة اليمين قليلاً ثم تركته معوجاً إلى اليسار وهزت رأسها للناحيتين . أجازة على طول ياختى . قلتها وخرجت وليس فى نيتى شيء ، نزلت الشارع ناديت على العيال فتجمعوا ، قلت : نلعب كلوا باميه - مد العيال أيديهم وفردوا أصابعهم وزعقت بالحس العالى : كلوا باميه . حين تكلم الولد سامبو : أقول لكم على لعبة أحسن . أنزلت العيال أيديها ووقفت واضعاً ذراعاى فى وسطى فاتحاً رجلى فى تحد ظاهر للعيال فتجمعوا ، ورأيته ينظر إلى «بكُهن» فنظرت إليه أنا أيضاً «بكهن» فهو ليس أجدع منى ابن البرابرة هذا نلعب جينيتروى . قالها وسكت، نظرت إليه العيال وقد تعجبوا من ذكر ذلك، لعبة سهلة ، قال سامبو : تقول فى نفس واحد جينيتروى أو نلف أذرعنا مثل الساقية

ويقلب كل واحد كفه ، هى نفسها كلوا باميه ولكن على أحسن . قلت : أنا مش لاعب اللعبة دى، مين يلعب معايا كلوا باميه .

هتف العيال : نلعب كلنا جينيتروى .

التف العيـال حول الولد سامبـو، وقفت وحدى وأنا مـلآنٌ بالغيـظ، نلعب جينيتروى، ياولاد الكلب، وكلوا باميه عليها كخ دلوقت، طيب لما نشوف، نسى الولد سامبو نفسه فى اللعب حين شتمته بكذا أهله وناسه من غيظى والله، ولم ينتبه إلا حين قذفته بحجر فأصابه فى مشط رجله وكانت النتيـجة أنه جرى خلفى ومد رجله أمـامى فوقعت على وجهى ولطشنى على عينى فانتفخت فى وقتها وساعتها ولم أعد أرى بها ، وعيال حارتنا يتفرجون علينا ولم يفكر أحد فى أن يحوشه عنى ويرفعه من فوقى - الخونة - وكانت هذه هى بداية معركتى الحقيقية مع البرابرة كلهم .

أما ما كان من عيال حارتنا ، فإنهم صاروا يلعبون مع سامبو كل يوم لعبة جينيتروى ، وصرت أنا لا ألعب معهم ، وفى نفس الوقت أدبر خطة أنتصر بها على عدوى ويكون هلاك سامبو والبرابرة على يدى بعون الله، وبينما هم ذات يوم يلعبون إذ أحس العيـال أن الولد سامبـو يعاملهم معـاملة الكلاب ، وصار هو المتحكم فيـهم ، وأول من أحس ذلك كـان سعيـد فرجانى فتشـاجر معه ولم يعد يلاعبه وقد انضم إلى جانبى ، وأصبح يلاعبنى وألاعبه ، وقد أخذت شلتنا تزيد وتتسع ، وشلة الولد سامبو تضيق وصرنا ندبر الخطط لهلاكه ، فحارتنا لم تعد حارتنا على يديه وأيدى الزناجره ناسه ، فقد جاءوا هم أيضاً للعب معه فى حارتنا ،

والعجيب أنه طرد كل من كانوا يلعبون معه منا ، وأصبح معروفاً أن شلة الزناجرة وصلت ، وأنها سوف تلعب الآن جينيتروى ، وأن علينا أن نقف بعيداً نتفرج أو نتلم فى بيوتنا بدلاً من «البهدلة» والفضائح والجرسة التى أقسم عليها سامبو ذات يوم حين قال لنا : وأيمان المسلمين إذا كل واحد ماحطش لسانه فى بقه لأجرسه فى بولاق الدكرور كلها وأفرج عليه أمة ما خلق . من يومها ونحن نخاف الجرسة إلى أن جاء اليوم الذى ننتظره ، وبينما نحن نتفرج عليهم وهم يلعبون ، وكنا نحن شلة كبيرة وهم قلة ، إذ قلت يجب أن نلعب «كلوا باميه» وأن هذا لابد منه الآن ، وقلت أيضاً على الخائف أن يبتعد ، وكنت أعلم أن المعركة على وشك ، ولكن لم أعد خائفاً ، وقد تركنا العيال وجروا لما أحسوا بالخطر ولم يبق معى سوى سعيد شريكى القديم ، اقتربنا من الأعداء جداً وكانوا شلة كبيرة ، فردت يدى وفرد سعيد يده وكانت ترتعش وقلنا فى نفس واحد : كولوا باميه . قلتها وصمت ، وارتفعت يدى إلى عينى وصرخت ، فقد فاجأتنى طوبه جعلت الدنيا ظلاماً فى ظلام وما عدت أرى حتى سعيد الذى يجرى له ما لا يسر عدو ولا حبيب - وسعيد هذا سوف يكون هلاك سامبو والزناجرة على يديه بالقدرة قبل أن يموت منتحراً - وهذا كلام إذا وصلنا إليه نحكى عنه ، أرجع إلى السياق فإننى بعد أن فاجأتنى الطوبه فى عينى ولم أعد أرى شيئاً ولا أنا دار بما حولى ودارت الدنيا بى ولم أعرف السما من الأرض ومن شدة الوجع لطمت على وجهى لطمتين وصرخت عينى راحت يا ولاد الكلب - وسارت بى رجلاى إلى البيت وأنا أجرهما جراً ، وعند دخولى البيت كنت أصرخ وأعيط وأشد

شعر رأسى من شدة الغيظ ، وأضع يدى اليمنى على عينى اليمين من شدة الوجع «والنقح» ، بحثت عن طماطم فوجدت واحدة كانت أمى تخبئها للطبيخ ، فتحتها وكبستها على عينى فشعرت بالراحة ، ثم أننى جلست أحسب حساب مداخل ومخارج حارتنا وأدبر الخطط التى أقتل بها سامبو وعائلته كلها ، وقلت : الصباح رباح ، ويانا يانت يابربرى يا اسود الكلب .

فى الصباح قمت من نومى على صوت العيال فى الحارة ، غسلت وجهى وعينى كانت مقفولة ففتحتها بيدى ومسحت «العماص» من فوقها ، نزلت إلى الحارة وفى جيب البيجامة وضعت موس حلاقة جديد ، وجدت حارتنا تمتلئ بالبرابرة وسامبو يقف فى وسطهم ، لمحت سعيد شريكى يتحدث مع سامبو حول رأسه لفة شاش كبيرة وذراعه اليمين مربوط فى رقبته أما عينه الشمال فكانت متورمة جداً ، وعيال حارتنا جميعاً يقفون حول سامبو ، وكان هو يرتب العيال حين لمحنى فأخرج لى لسانه وبدأ يلعب حاجبيه من تحت لتحت ، وكنت أجلس على عتبة بيتنا حين بدأ سامبو يجرى رافعاً رجله ، والعيال تجرى وراءه ، هو يغنى وهم يردون عليه :

يا رجل البنطلون خشى واطلعى ... تلاته فى البدرون يا صفرة فرقعى

***

سـر أبى

تجمعنا نحن عيال حارة .. على أبو حمد المتفرعة من شارع همفرس ببولاق الدكرور فعملنا جيشاً كبيراً يهزم الأعداء ، وكانت الحرب فى بداياتها ، كنا نسأل : هل انتصرنا ؟ فلا يرد علينا أحد . والجميع يهتفون : هانحارب ، إسرائيل الأرانب فنفرح لذلك ونصفق بأيدينا ونتجمع فى بدايات الليل جيشاً قوياً يهزم الأعداء ، خلف البيوت كلها ، ننادى بالصوت العالى طفى النور ياوليه .. احنا غساكر دوريه.. طفى النور يامراتى .. احنا عساكر ضباطى . فيطفئون النور ، ويطلون زجاج النوافذ بالزهرة الزرقاء خوفاً من الأعداء . ويأخذ أخى فأسه فى يده ويذهب يقف على الكوبرى يحرس أول بولاق الدكرور . سمعنا نداء أبى فتجمعنا والدنيا عتمة كحل ، أخذنا نلتف حوله فى حجرتنا الضيقة، همس : أقول لكم سراً فلا تفضحونى وإلا أعدمونى . بانت عيوننا فى الظلام وكانت تلمع ، أمسكت بيد أخى الكبير خوفاً من السر، ركع أبى على ركبتيه ، خبط بكف يده على أرض الحجرة مرتين : هنا دفنت السر من أربعين سنة وهذا أوان خروجه فالأعداء قادمون، ونحن نحتاجه الآن .. أشار لأمى فأزاحت حصير الأرض ، أخذت تكوره حتى لمته كله ، أخذ أبى فأس أخى التى يحرس بها أول بولاق ، وضع إصبعه على فمه وقال: هس ، فسكتنا جميعاً وسمعنا صوت أنفاسنا بحذر شديد أخذ يدق أرض حجرتنا بالفأس دقاً خفيفاً حتى تكسر الإسمنت ، أشار لأخى هامساً : احفر هنا بهدوء .. ركع أخى على ركبة ونصف ومد يده وأخذ يحفر بأصابعه، وأبى يتسمع خطوات الناس ويشير لأخى أن توقف ثم استمر

حتى قال له كفى ، كانت الحفرة عميقة فاقترب أخى منها وركع ومد يده، وقلت لأمى أنا خائف ياختى ، فقالت : هس . لم أهس وأمسكت يدها وبكيت ، كانت يد أمى ترجف فسكت . أخرج أبى يده من الحفرة ولم نر شيئاً من شدة الظلام وقال ها هو السر الذى أخفيته عن العالمين أربعين سنة ويزيد . ولكنا لا نرى سرك يا أبى . أمر أمى بإشعال شمعة فرأينا فى يده خرقة ممزقة ملفوفة كذا لفة ، أخذ يفكها بحذر شديد «خالص» ونحن ننظر إلى يده فى خوف ، وقلت سوف يخرج من الخرقة ثعبان يسمى الشجاع الأقرع ، أعرفه ويعرفنى ، ورأيته ذات يوم يخرج من عصا الحاوى ، فخفت أن يطلع فيلتهمنى وقفت وراء أمى. انتهى أبى من فك الخرقة وقال : السر أمامكم الآن فلا بد من ظهوره مهما طال الزمان .. رأينا جراباً كبيراً من الحديد الصدئ ، أخذ يسحب الجراب سحباً بطيئاً حتى خلعه رفع يده فبان خنجر صغير ، قال أبى : سرقته من عسكرى انجليزى أيام الاحتلال بعد أن قتلته ، وظلوا يبحثون عنى وعنه إلى الآن ، يحتاج إلى مسح ويرجع كما كان ، أمسك الخرقة فى يد والخنجر فى يد ، فى فرح شديد مسح مسحة واحدة ، رأينا يد أبى مليئة بقطع الحديد الصغيرة الصدئة ، أفرغ يده فى الخرقة ولفها «كذا» لفه ، وضعها فى الحفرة ، أشار لأخى فردمها ، أشار لأمى ففردت حصير الأرض ، وبينما نحن واقفين لا نتكلم ، وبينما أمى تشوح بيديها وتعوج فمها مرة لليمين ومرة لليسار ، إذ تكوم أبى فى ركن ووضع رأسه بين ركبتيه وبدأ يعيط .

* * *

غرغرينا

لمّا دخلت عليه الحجرة حاملة «السَبَتْ» فوق رأسها ، رآها فشهق وانفجر باكياً ، وحين وقع نظرها عليه نادماً على جنبه اليمين فارداً ذراعه الشمال أمامه غارقاً فى لفافاته ومتكئاً على المخدة التى خرج القطن من بعض ثقوبها ، رمت «السبت» فوقع على الأرض مائلاً على جنبه فاندلق ما به ، خبطت على صدرها صارخة : مالك ياضنايا ؟

رمت نفسها على الجسد النحيل الممدد بطول الكنبة ولمته فى حضنها ولطت ذراعه لطة خفيفة ، صرخ متوجعاً ودفن رأسه بين صدرها وعنقها فأحست سخونة حارة ورطبة ، مالك ياخويا ؟ قالت وأزاحت حرف الغطاء وأفسحت لنفسها مكاناً وجلست تتحسس الجسد وتمسه بأطراف أصابعها ، شعر رطوبة تجتاح جسده وتغرغرت عيناه بالدموع . ايه اللى عمل فيك كده ؟ مسح عينيه بعد أن هدأ قليلاً وقال لها اعدلينى فعدلته بالراحة . أغيب عنك يومين فى البلد آجى ألاقيك بالشكل ده ، ياحزنك يا أمينة .

عاوده البكاء مرة أخرى وقال : العيال وقعونى من على الشجرة فى الجنينة ، رحت يوم العيد أنا وصحابى . قالت وهى تتلفت حولها : وايه اللى وداك بس ، وفين أبوك واخواتك ، وازاى يخرجوا كلهم ويسيبوك كده . أمرته بتحريك ذراعه فلم يستطع ، ورأت أصابعه تطل من خلال الرباط منتفخة ومحمرةً فقالت ياضنايا يا بنى ، ومين ده اللى ربطها لك كده . قال إنه جاء من الجنينة يصرخ من شدة الألم بعد وقوعه ، وإنه جاء وحيداً بعد أن تركه العيال ومشوا ، وحين رآه أبوه أمسك ذراعه قد

تورمت فأخذه إلى قريبه فتوح العلاف الساكن فى الدقى القديم ، دعكها بالزيت ووضع فوقها لبخة وربطها وقال لا أحد يفكها إلا بعد شهر .

ملّست على شعره وقالت : استحمل ياخويا لحد الصبح ، يحلها ألف حلاّل . قامت واتجهت إلى الحجرة الأخرى فخلعت جلابية السفر القطيفة السوداء الموبرة وارتدت جلابية البيت الكستور المشجرة والمفتوقة عند الكتف وتحت الإبط . عادت وجلست أمامه على الحصير وعدلت السبت وأخذت تخرج منه بعض لفات الفطير المشلتت وتضعها على صينية بجانبها ، قالت مبتسمة : جبت لك الرز المعمر اللى بتحبه ، جدتك عملته لك مخصوص . قام نصف قومة ليشاهد طاجن الأرز وهى تخرجه فآلمه ذراعه ، عاد إلى نومته مرة أخرى بينما أخرجت أرغفة المرحرح والبتاو وقطع الزبد وقالت : وجبت لك برطمان قشطة . دا بقى تعينه وتاكله وحدك ، سلامتك يا حبيبى .

فى الصباح الباكر أيقظته من نومه ، أفطرته وألبسته هدومه وخرجت به ، فى المحطة سألت عن الأتوبيس الذاهب إلى المستشفى ، قطعت تذكرة ووقفت فى طابور بينما أجلسته على جنب حتى اقتربت من الطبيب فأشارت إليه بالاقتراب . تناول الطبيب التذكرة وقال دون أن يحوّل نظره عما أمامه : مالك ياشاطر ؟ لم ينتظر منه إجابة وأشار إلى الممرضة فأخذت تفك الرباط من على ذراعه وقد أمال كتفه ناحيتها حتى انتهت ، ألقى نظرة على الذراع وهتف : مين الحمار اللى عمل فى ذراع الواد كده ؟ هزت كتفيها ولم تدر بماذا ترد ، وتعلقت أنظارها بالطبيب الذى أمسك الذراع من كف اليد وأخذ يفحصها بعناية وقد بان انتفاخها

يوشك على الانفجار ، واللحم المسود المتقيح مكان اللبخة برائحتها الحمضية النفاذة ، قال مشيراً إلى الأم وهو يهم بالانصراف : غرغرينا ياست ، إمضى لنا على تعهد بسرعة عشان نلحق الواد . قالت الأم وقد أحست بخطر كلماته التى لم تفهم منها شيئاً . يعنى ايه يابيه ؟ قدامك حل من اتنين ، يانقطعها ، يانسيبه يموت ، وقررى بسرعة مفيش وقت . ياخرابى يابنى ، صرخت بينما الطبيب يخرج من الحجرة ، أخذت رأسها بين كفيها وجلست على الأرض تبكى ، بينما هو دنا منها مائلاً بكتفه وجلس بجانبها وألقى برأسه على فخذها وقال : مالك يامه ، بتعيطى ليه ؟

* * *

التحويطة

جلس مرتدياً عباءته واضعاً أمامه مجمرة يتصاعد منها دخان البخور فيلف الحجرة بسحابة كثيفة من روائح الكندر والعود والسندروس ، وأمامه مباشرة جلست الفتاة بجلبابها الأسود الموّشى عند الصدر وقد ظهر من فتحتيه طليعة تلين صغيرين ومدورين ، تأمل الشيخ صدر الفتاة المنتصب أمامه وود لو استطاع إمساكه بكفيه ، أو حتى مجرد ملامسته ، وفاجأه إحساس كمن لامسه بالفعل ، فقد سرت نعومة ما ، وطراوة بضة فى أنامله ، وشعر بسخونة بين فخذيه انتقل ببصره صاعداً إلى وجهها المستدير ببشاشة ، المشرب بحمرة الصبايا وطابع الحسن مثل البندقة أسفل ذقنها ، تأمل عينيها السوداوين باتساعهما ، وشعرها الأسود الطويل بخصلاته الناعمة والنائمة على كتفيها ووراء ظهرها وقد لمته من أعلى رأسها بقمطة من الحرير الأحمر الزاهى ، خطوط الجسد المطبوعة على الجلباب ، ورائحة الجسد الفتى الفواحة قوية مشبعة . انتبه لصوت نحنحة أمها بجانبها ، وجارتها التى تجلس بعيدة عنهم ، لعب بأصابعه فى لحيته الطويلة والتى تخفى بعض ملامحه ونظر إليهم محرقاً وقال بصوت أخفى انفعاله : احكوا لى من البداية على كل شىء . واتكأ بظهره على المسند الموضوع خلفه متخذاً هيئة المستمع بينما تململت الأم وتنحنحت وبدأت تحدثه : صلى على من يشفع فيك يا مولانا ، أشارت إلى الفتاة ، هى ابنتى الوحيدة ، جاءت على اربعة صبيان ، اسمها مريم، من يومها وهى منطوية شاردة ، غريبة بين أقرانها ، تفوقهن حسناً وجمالاً كما ترى ، ومع ذلك هن تزوجن ، أنجبن وعمّرن بيوتاً إلا ابنتى،

إذا تقدم إليها ابن الحلال تجدها نفرت ، انطوت ، ضاقت أخلاقها لا تطيق الحديث حتى معى أنا أمها ، ابنتى طابت وطلبت الأكيل ، وإذا لم يحدث تذوى ويجف عودها ، هذه هى الحكاية يامولانا من طقطق للسلام عليكم وقد شكرت فيك جارتى الست أم نبيل زبونتك القديمة . اعتدلت أم نبيل فى جلستها لحظة سماعها اسمها ونظرت إلى الشيخ الذى لم يلتفت إليها ، بل نظر إلى الفتاة وسألها : وانت يا ابنتى لماذا لا تريدين الزواج ؟ ولما لم يجد إجابة على سؤاله سوى هز الكتفين أكمل : عموماً اطمئنّا ، إن كان معمولاً لها عمل فسوف أفكه وأبطل مفعوله بإذن المولى ، وإن كان مسها عارض من الجن فأصرفه بعون الله ، فقط اتركا لى اسمها واسم أمها وأثراً من هدومها تكون لبسته وعرقت فيه ومرا علىّ غداً .

فى اليوم التالى جاءت الفتاة بصحبة أمها وجارتها التى جلست بعيداً ، كان الشيخ جالساً كعادته ، وبين يديه المجمرة يتصاعد منها البخور ، تابع بنظراته الفتاة وهى تتجه إليه ، كان ترتدى جونلة سماوية أبانت ساقيها المدورتين الممتلئتين ، وبلوزة حريرية ضيقة التصقت بجسدها فظهرت تفاصيله الأنثوية ، جلست بين يديه وبدأ الشيخ يباشر صنعته ، قذف بعض البخور فتصاعدت رائحة كريهة من الميعة والصبر والافتيمون ، ثم أنه سرح قليلاً وبدأ يتمتم : يحسدونك على جمالك وهذا حقهم ، والمسألة عويصة لكنها تُحلّ على يدى ، نظر إلى الأم : العمل على قرموط سمك حى والقرموط سارح فى النيل من هنا حتى أسوان ، وسوف أرسل الآن الأعوان فى طلبه فيحضر فى التو واللحظة .

قام الشيخ وأحضر صينية كبيرة ملأها بالماء ، وضع يده فى الماء وقال: يا حجر ياحجنجر ، ياللى فى البحر تنقر ، تبيض وتفقس ، ولا حد ينضر ، تعالى ، الوحا الوحا ، العجل العجل ، وبينما هم كذلك ، وإذا بجلبة ، ورأوا قرموط السمك طائراً فى الهواء ، ورأوه يقفز فى الصينية ، وسمعوا طرطشة الماء ، وزعق الشيخ : الوحا الوحا ، العجل العجل ، المطلوب وصل ، انصرفوا سلام بحق قدرة كن فيكون . كانت الأنفاس لاهثة والعيون مبحلقة وهى ترى ما يحدث أمامها ، انكمشت الأم ولمت ابنتها بين ذراعيها ، بينما جرت الجارة إلى الشيخ تساعده ، مد الشيخ يده وقبض على قرموط السمك وهو يتلوى محاولاً الإفلات من القبضة الملتفة حول رأسه ، أشار إلى الفتاة فتقدمت وحدها ، وأشار إلى سكين ملقاة على الأرض فأخذتها بين أصابعها ، مدد القرموط على الأرض ووضع قدمه فوق ذيله بينما أمسك رأسه ورقبته بقبضتيه وقال لها : هيا اذبحيه بسرعة .

حيث أتمت فصل الرأس انفجر سرسوب من الدم الأحمر القانى فى وجهها ، أمسك الشيخ بيدها وغمسها فى بركة الدماء المتكونة وأمرها بلعق أصابعها ، ثم بدأ فى سلخ جلد القرموط حتى فصله عن الجسد فكومه وعبأه فى كيس قماش ووضع معه ورقه مطوية عدة طيات وخاطه وناوله للفتاة عملك انفكّ ، وهذا حجاب المحبة والقبول ، والآن اخلعى هدومك التحتانية . نظرت الفتاة إلى أمها بكسوف فقالت : اخلعى ياضناى ، الشيخ مثل والدك . خلعت الفتاة الجونلة ووقفت بسروالها الداخلى ، وظهر ملموماً على أحد جانبى فخذيها ، ورأى الشيخ شعر

عانتها ، ورأى ثقبها الأرجوانى فبلع ريقه الناشف ، أمسك الحجاب بيد مرتعشة وشبكه فى طرف السروال بدبوس ، ولمست يده ما بين الفخذين بحركة بدت بغير قصد وأحس سخونة الجسد ، وشعر برعدة ، انتبه للعيون المسلطة عليه ، أشار لها أن ترتدى هدومها وقال وهو يضع بعض البخور منشغلاً بالدخان الكثيف المتصاعد بينما هو يلتقط أنفاسه : بالسلامة ولا تنسى الحلاوة إذا ربنا عدلهالك ، ثم قال للأم : اسمعى ، سوف أخدمك خدمة لا أفعلها لأحد ، أرسلى لى ابنتك غداً بمفردها ، فسوف أعمل لها تحويطة تقيها شر حسادها ، هذه التحويطة مهمة لإكمال الشغل ، وسوف أعملها دون مقابل .

مالت الأم على يد الشيخ قبلتها ، وقالت وهى تهم بالانصراف : ربنا يفتح عليك ياشيخ ويزيدك من نعايمه ، ودست يدها فى صدرها أخرجت لفة نقود وضعتها أمامه على الأرض ومشت ناحية الباب هى وابنتها وجارتها ، وقالت قبل أن تغلق الباب وراءها : سوف أرسلها لك من النجمة ، افعل بها ما بدالك .

وابتسم الشيخ ، وتراقصت شياطينه على شفتيه وهو يتأمل الجسد الفارع الرجراج يغيب عن عينيه .

* * *

الحيـل

كان راجعاً من عمله وقت الظهيرة حين دهمه الكلب ، هل فوجئ بما حدث ؟ نعم ، فقد كان بحكم عاداته اليومية يمر عليه صباحاً ومساء فيجده جالساً رابضاً بشكله المهيب أمام بيت الجيران ، سنون طويلة مرت على جلوسه هكذا منذ أن جاء إلى الحارة جرواً صغيراً يتمسح بأرجل المارة فيعاملونه بحنو كطفل من حقه الحصول على بعض التدليل حتى يبلغ ويكبر ، مَنْ الذى أتى به ؟ ومن أين جاء ؟ لا أحد يدرى ، بل يعتقد البعض أنه ولد فى الحارة من أم وأب كانا يعيشان فيها ، فى هذا البيت تحديداً ، وأن هذا الكلب هو نتاج حادثة شهيرة يعرفها الكبار وكانوا وقتها صغاراً ، فقد رأوا الأم تعوى وتنبح ، وحين ذهبوا إليها وتجمعوا حولها لمعرفة السبب شاهدوا الأم تخرج من المنزل وقد التصقت مؤخرتها بمؤخرة أحد الكلاب الغريبة عن الحارة ، بينما الكلب الآخر - زوجها - يعض ويخمش بأظافره كلاهما ، كانت جُرْسَة وقف الجميع يتفرجون عليها بسعادة غامرة ، والكلبة «القامطة» على الكلب تجاهد فى التخلص منه حتى نجحت أخيراً فصفق الجمع وهللوا بينما انسحب الكلب الزوج خارجاً من الحارة ولم يره أحد بعدها .

.. نما الكلب وكبر وأصبح شكله مهيباً ، وألفه الجميع ولم يكن ينبح إلا على وافد غريب ، أما هذه المرة فحين رآه وقف فجأة ، ولما اقترب منه كعادته قطع عليه الطريق متحفزاً ، ودون أن يمهله قفز قفزة واحدة ناحية ساقه اليسرى وأمسك بها ، دهمته المفاجأة ، ولم يبد أية حركة وفى ظنه أنها مداعبة ثقيلة ، لكنه أطبق بفكيه على الساق التى حاول شدها

فتمزق البنطلون وأفلتت الساق للحظة لكن الأنياب سرعان ما أطبقت مرة أخرى وانغرست فى اللحم بينما كانت زمجرة الكلب المكتومة تتحول إلى زئير ، وعيناه تبرقان باحمرار مخيف ، وشعر بألم وسخونة يجتاحان جسده فصرخ وشد بقوة فتحررت ساقه ، ركع على الأرض يتحسسها وامتلأت أصابعه بالدماء ، نظر إلى الكلب فوجده يتحفز مرة أخرى للوثوب فالتقط حجراً أشهره فى يده وأخذ يتراجع بظهره فى بطء بينما عيناه مثبتتان على الكلب الذى كان يتراجع هو أيضاً حتى دخلا كلٌ إلى مسكنه .

.. حين شمّر مزق البنطلون عن ساقه كانت غارقة بالدماء ، وحين رأت زوجته ذلك صرخت وخبطت بكف يدها على صدرها وجرت أحضرت ماءً غسلت به الجرح فظهرت صورة واضحة لأنياب الفكين العلوى والسفلى محفورة فى بطن الساق حُفراً غائرة عميقة ، أحضرت قطناً وشاشاً وقامت بتطهير الجرح وربطه ، لم يؤلمه الجرح أول الأمر ، لكنه فى المساء اجتاحته سخونة مصحوبة بألم لا يطاق وتكون «حيل» على هيئة «بلحة» أعلى فخذه ظهر واضحاً جلياً ولم يعد يقوى على السير ، فى هذه الليلة لم ينم ، وعند الفجر انسلت زوجته من جانبه واتجهت إلى منزل الجيران ، الناس مازالوا نائمين ، لكنها سوف توقظهم ، فللضرورة أحكامها ، والرجل سوف يروح منها ، ولا بد لها من الحصول على بعض الشعر من الكلب ، هكذا يفعلون من قديم الأزل ، هى وصفة مجربة ، لم تخب قط ، ولابد أن يتم ذلك فى الفجر قبل أن تطلع شمس اليوم الأول على العض وإلا فلا فائدة .

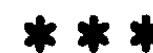
.. كانت البوابة الحديدية مغلقة بالجنزير والقفل ، وفى الضوء الواهى رأته رابضاً فى حوش المنزل واضعاً رأسه بين ساقيه الأماميتين فارداً جسده الفارع ، لم يكن نائماً ، فقد شعر بوجودها فرفع رأسه تجاهها ، رأت عينين حمراوين تلمعان ، ورأت لسانه يتدلى من بين فكيه ، ولمحت لعابه يسيل على جانبى فمه ، وسمعت لهاثه ، رنت جرس الباب فخرجت بعد مدة صاحبة البيت : خير ياختى كفا الله الشر ! فتحت الباب وأدخلتها ، لمحتها تنظر إلى الكلب فقالت : لا تخافى منه فهو لا يعض، تعجبت وقصت عليها ما حدث ، هزت صاحبة البيت رأسها فى دهشة وعقّبت قائلة إنها المرة الأولى ، وعلى كل حال فهو ليس مسعوراً ، ثم أحضرت مقصاً وركعت أمام الكلب وجزت قطعة كبيرة من شعره دون أن يلتفت إليها أو يتحرك . هاهى أخيراً حصلت على حفنة الشعر فلتكمل الباقى سريعاً ، وضعت بعض الزيت على النار حتى انقدح ، رمت فيه حفنة الشعر فسمعت طشة وشمت رائحة دهن حيوانى ، تركت المزيج حتى برد وصبته فى خرقة وضعتها على الساق ، قالت : بالشفا ، وصفة مجربة .

غفا قليلاً فاطمأنت ، حلم إنه أكل ولده وزوجته فقام مفزوعاً يبحث عنهما ، أحضرت زوجته كوب ماء وناولته له ، صرخ ابعدى الماء عنى ، ابتعدى . نظرت إليه فى دهشة فرأت عينيه حمراوين ، وفكه السفلى وقد تدلى وبرز لسانه ، أما لهاثه فقد أصبح صوته مسموعاً الآن ، تحسست جبينه فوجدته ملتهباً ، حاولت عمل كمادات من الماء البارد ، لكن حالة الذعر التى اجتاحته حين رأى الماء حالت دون ذلك ، كان

ينكمش فى بعضه وينظر إليها فى توسل لتبتعد عنه ، أرجعت ذلك للحمى التى تملكت جسده .

فى المساء خلعت عنه كل هدومه ، مسحت جسده بالخل والليمون ، كشفت عن الجرح فشمت رائحة كريهة وقد مال إلى السواد مكوناً ماءً مصفراً له رائحة لا تطاق ، ربطت الجرح مرة أخرى ، فى نومها سمعت سعاله ، كان يشبه عواء كلب صغير ، ورأت لسانه يتدلى من بين فكيه وسمعت صوت لهاثه فلم تصدِّق ، كان يزوم بينما لعابه يسيل على جانب الفم المفتوح ، وبدت ملامح الوجه أكثر غرابة ، لكن الشىء المؤكد أنها رأت تلك الملامح قبل الآن، فتح عينيه فوجدها تنظر إليه فسألها عن ولده، نادته فجاء جارياً ومحاولاً اللعب معه كعادته لكنه لم يستجب، فقط ضمه إلى حضنه وأخذ يلعق وجهه ، لحظتها، تذكرت متى وأين رأت هذا الوجه من قبل ، هو نفس الوجه الرابض فى حوش الجيران، خافت ومدّت يدها وأخذت الولد من بين ذراعيه ، نظر إليها بعينيه الحمراوين وخرج صوته مزمجراً ، وخيل إليها أنها سمعت نباحاً ، جرت إلى الحجرة الأخرى وأغلقتها بينما صوت عوائه لم ينقطع طوال الليل .

فى الصباح قامت وفتحت الباب بهدوء وتسحبت داخل الشقة ، بحثت عنه فلم تجده ، نظرت من الشرفة فلمحته أمام منزل الجيران ، كان رابضاً على الأرض فارداً يديه وقدميه ، ورأت الكلب رابضاً أمامه أيضاً، كان كلاهما ينظر على عين الآخر وينبح بشدة ، وكان كلاهما مستعداً للانقضاض على الآخر ، بينما عواؤهما يعلو ويعلو .



امـرأة

كنت أحدق مستغرقاً فى الصور المعلقة على الحائط المواجه والتى لم تتغير منذ وطئت قدماى هذا المكان ، حين فوجئت بها أمامى .

لحظتها ، انكسرت أشعة الضوء الواهية وشعرت بعتمة مفاجئة فانتبهت ، كانت واقفة أمامى بجسدها الأسمر الفارغ الممتلئ دون ترهل، على وجهها بدت تكشيرة خفيفة تتخللها ابتسامة عابثة ، وبدا الجسد فى حالة اندفاع توقف فجأة ، كانت بشاير السالم بشحمها ولحمها تقف أمامى فى حالة تأهب ، هل كان تأهباً للعناق ؛ مدت يدها فى تراخ حذر، مصطنع ، قالت فى لوم : طبعاً نسيتنى .

التقت أصابعى بأصابعها فى عناق حار ، كثيف ، بينما اهتزت الذراعان فى حركة رتيبة ، موقعة عدة مرات . كيفك . قالت ومسحت بعينيها المكان فأشرت لها بالجلوس فجلست . ياه ، تغيرت كثيراً يا بشاير .

نظرت إليها بينما هى أطرقت وأخذت تعبث بيد حقيبتها فى حركة بدت عصبية ، وأنت أيضاً تغيرت كثيراً ، بدأ الشيب يغزوك ، هل تعرف إنك أصبحت أكثر وسامة ، وشعرك الأبيض عامل «كونتراست» يجنن مع شنبك الاسود . كأنك تغازلينني .. قلت ضاحكاً . فأخذت تضحك هى أيضاً ومالت برأسها وجذعها إلى الوراء قليلاً : كنت فعلتها من عشر سنين هى عمر صداقتنا وقبل زواجك ، كيفها زوجتك وابنك ؟ قلت : بخير ، كيف علمت ؟

تلفتت تتأمل الصور واللوحات المعلقة على الجدران ووجوه الناس

الذين يمتلئ بهم المكان فى تمهل من يستعيد ذكرى مرت ، ثم أنها سألتنى فجأة : هل رأيت ابراهيم ؟ كنت بالفعل قد رأيته جالساً على المقهى يشيش كعادته كلما رأيته ، هززت رأسى نفياً ووقفت أسلم على صديق مد لى يده بالتحية ثم جلست مرة أخرى ، هذا الولد سوف يقتل نفسه بالشيشة الهباب هذه . قالت بانفعال وصوتها العالى سمعه الجميع فالتفتوا ناحيتنا ، أحسست بخجل مفاجئ فأطرقت صامتة بعض الوقت ، وأخذت أنا أنصت لحديث كان يدور فى الجهة المواجهة لى بين صديقين أحدهما شاعر والآخر قصاص حول آخر فضائح الوسط حين انتبهت لوقوفها فجأة بينما تعلق حقيبتها فى كتفها : سأغادر هذا المكان الكئيب ، أشعر باختناق ، باى ، قالت وخطت فى اتجاه الباب فى تردد أحسست به من حركة القدمين المرتبكتين ، لكنها رجعت مرة ثانية وقالت: مرتبط بأحد الآن ؟ هززت رأسى نفياً فأكملت : قم نتمشى قليلاً، اسمع ، أنا أدعوك للعشاء ، هل توافق ؟ هل انتظرت منى إجابة ما على سؤالها ؟ وهل كان فى وسعى أن أرفض دعوتها ؟ قمت وتبعتها إلى الخارج فاستقبلتنى نسمة هواء باردة أنعشتنى ، كان الجو فى الداخل معبقاً برائحة السجاير وأجساد النساء ، ومعارك وهمية لا تحدث إلا فى خيال البعض ، كانت تتقدمنى خطوات تؤرجح حقيبتها فى يدها ، وبدا توترها ظاهراً فى حركة رجرجة جسدها ، توقفت فجأة بعد عبورنا الممر الموصل إلى الشارع الرئيسى ، واجهتنى ، انحنت قليلاً فى حركة تمثيلية: شبيك لبيك يا مولاى ، نذهب إلى أى مكان تريده ، ألا تحلم بأن تكون شهرياراً بضع ساعات ، حلم الرجل الشرقى ، سأكون شهرزادك

منذ الآن ، فاطلب منى أى شىء ، وكل شىء ، وسوف تجدنى رهن إشارتك يا مولاى .

لم أعلق ، فقط اكتفيت بابتسامة باهتة ، وشعرت بضيق مفاجئ لا أعرف مصدره ، عبرنا الشارع الرئيسى فأصبحنا أمام مطعم أعرفه وتعرفه ، قلت ما رأيك . وأشرت إلى المطعم ، أومأت برأسها وتقدمتنى، بحثت بعينيها حتى عثرت على ركن غير مزدحم ، جلسنا ، شعرت براحة مفاجئة فتنهدت ، كان المكان ممتلئاً بالسائحين من كل البلاد ، ولم يكن هناك غريب عن المكان غيرى ، لكنى شعرت براحة لا أعرف مصدرها ، على الرغم من توترى كلما دخلت هذه الأماكن ، ليست لنا ، لاتنتمى إلى أولاد البلد الحقيقيين ، تكونت فى عصر الانفتاح وأصبح لا يدخلها إلا الأغنياء ، أما الفقراء ، فلهم أماكن أخرى يعرفونها جيداً ، الديكور البسيط أضفى على المكان سحراً خاصاً ، ينتمى للألف ليلة وليلة ، الزجاج الملون المعشق تنسال على جانبيه إضاءة خافتة من مشكاوات متناثرة هنا وهناك ، المشربيات المشغولة بالأرابيسك تظهر من فتحاتها قلل فخارية ملونة ، تقفيصات الحمام والعصافير المعلقة فى وسط القاعة ، اختلاط هديل الحمام بزقزقة العصافير ، صوت مياه رقراقة آت من بعيد ، غير مرئى ، نساء جميلات شبه عاريات فى الزوايا والأركان ، قلت : الآن قد اكتمل المشهد، هؤلاء النسوة هن جوارى شهريار ، لكل جارية منهن مذاقها الخاص ، كان حضورهن الأنثوى طاغ ، يملأ المكان برائحة الجسد الخالصة، انشغلت بهن حتى أننى نسيت تلك التى تجلس فى مواجهتى ، هى التى

جاءت على غير موعد ، دون ترتيب مسبق ، من الذى يملك حق التمتع بكل هؤلاء ؟ من ؛ انتبهت على صوتها ، كأنى أستيقظ تواً ، مسحت على وجهى بكف يدى ، أشارت إلى ورائى فالتفت ، واجهتنى امرأة تجلس وحيدة تتأمل فيما حولها ، وحينما أحست بأن ثمة من يرقبها ، تنبهت ونظرت إلينا ولوحت بأصابعها مبتسمة ، رددنا تحيتها بإيماءة خفيفة ، كانت بشرتها بيضاء نقية مشربة بحمرة طبيعية ، وجهها المنمنم له ملامح أنثوية أخاذة ، شعرها المفتول ضفائر دقيقة الصنع ينسدل على وجهها وكتفيها بشراشيب تشبه المروحة ، العينان الكحيلتان المشروطتان تغطيان ملامح فرعونية ، كأنى بالملكة كليوباترا أمامى الآن . قالت وانصرفت بعينيها عن تأمل المرأة كمن نسيت فى لحظة ما كانت تتأمله . كيف حال ابراهيم ، هل ما زالت علاقتكما كما كانت ، هل يكتب ؟ كيفك انت ؟ أخذت نفساً عميقاً من السيجارة التى توهجت بين أصابعى وابتلعته ، ثم أننى أخذت أسربه بانتظام ، وبهدوء بدأت أغلق أبوابى الخارجية بعد إحساس بالملل فجأة ، عادتى كلما شعرت بملل ما أو رتابة، أهرب إلى نفسى ، يتلاشى كل ما حولى فأحس سكينة ، قابلتها منذ عشر سنوات على المقهى ، تعرفت عليها بسهولة ، كانت زيارتها الأولى للقاهرة ، وكانت تتمنى أن تعرف كل الكتاب ، قبيلتها كما كانت تسميهم ، كنا وقتها صغاراً نبحث عن فرص للنشر والشهرة فى العاصمة التى يقصدها الكتاب من كل القرى والنجوع ، وكان حظى أقل عناء منهم ، فأنا ابن العاصمة ، لم أوضع فى اختبار اتخاذ قرار بالتخلى عن كل شىء للمجىء إليها ، البحث عن موطئ قدم لغريب ترك كل شىء

من أجل غزو القاهرة ، الاعتراف بحق إمساك القلم ، أرته وقتها قصتها الأولى التى انتهت من كتابتها قبل مجيئها للقاهرة ، لم تكن قد نشرتها بعد وتمنت أن تكون بدايتها الأولى هنا ، لا يذكر هل أعجبتنى القصة أم لا ، لكنى أذكر روحها المرحة وضحكاتها المجلجلة ، قالت إنها عشقت القاهرة من النظرة الأولى ، وإنها لا تعرف كيف ستتركها لتعيش هناك ، حيث كل شيء أشد اختلاقاً من الليل والنهار ، أرجعت هذا العشق لجذورها العائلية ، فأمها مصرية صميمة ، لكنها منذ أن ولدتها لم تأت إلى مصر ، عاشت هناك وتطبعت بطباعهم ، حتى لهجتها تغيرت ، لكنها تذكر وهى صغيرة أنها جلست بين يديها بالساعات تحدثها باللهجة ، تصف لها شوارع القاهرة ، أزقتها وحواريها، أحلام الناس البسطاء ، أحبتها من خلال حديثها ، تمنت أن تزورها ، تتعرف على مسقط رأس أمها ، وحين كبرت ، تمنت أن تلتقى بكتاب مصر الذين سمعت عنهم وقرأت لبعضهم ، تعيش حياة الصعلكة معهم ، تقضى نهارها فى المقاهى ، أما الليل فلها وحدها ، تعرفت على إبراهيم ، وبدا أنهما مالا إلى بعضهما ، أصبحا لا يفترقان ، وكان هو يصطحبها معه فى كل الأماكن التى يذهب إليها ، صارحه ذات يوم بمشاعره تجاهها ، قال إنها تمثل بالنسبة له الأمانى ، تشعره بمسئوليتها تجاهه ، تحنو عليه فى بلد يشعر فيها بالغربة ، وحدته القاسية بعد انصراف الرفاق من على المقهى ، جلوسه وحيداً لا يعرف كيف يقضى ليلته ، تسأل عنه ، تهتم بصحته وأكله وشربه ونومه ، جاء إلى القاهرة قادماً من الجنوب بعد موت الأب والأم ، جاء لا يملك شيئاً سوى موهبته وكراهية عميقة تجاه

أبناء الشمال البيض الذين يملكون كل شيء ، أليسوا أبناء العاصمة ، لم يكن يهتم بمظهره ، وأصبحت حياته على المقاهي ، عرف كل مقاهي القاهرة ، التي تسهر حتى الصباح والتي تغلق أبوابها مبكراً ، عناوينه يعطيها على المقاهي ، رسائله ترسل عليها ، تليفوناته ، كتاباته ، عشقت هي حياته التي يحياها ، تتمنى أن تشاركه صعلكته ، عشقت حتى مظهره المضطرب ، شعره المنكوش وهدومه المتسخة ، لهجته الجنوبية ، نطقه لحرف القاف والجيم المعطشة ، انتبهت على صوت الجرسون الذي وضع أمامي قائمة طعام باللغة العربية، وضع مثلها أمامها بعد أن حمل قائمتين بالإنجليزية كانتا على الترابيزة ، مؤكد لك زمن لم تأكل اللحم ، هي فرصتك فاغتنمها . قالت وضحكت وأكملت : ومؤكد أنك تقول لأولادك كلما طالبوك بأكلة لحم إن غذاء الروح والعقل أهم .. قلت ضاحكاً : ليست المسألة بهذه القتامة ، توجد بعض اللحظات المفرحة ، لكنها لحظات ليس أكثر . دعني أساعدك قالت ومالت نحوي تنظر إلى القائمة التي أحملها بيدي ، اختارت لي لحم ضأنٍ مشوياً وسلاطة خضراء وأرز بالمفروم ، بينما اكتفت بطبق مكرونة وسلاطة خضراء ، قلت : هذه فرصة لأخرب بيتك وأصرف كل ما معك من أموال النفط ، ضحكت ، لكنها لم تضحك ، سألتني فجأة : هل تتوقع قدومه علينا الآن ، قلت إنه لا يرتاد هذه الأماكن الفاخرة ، أشعلت سيجارة وحاولت الاسترخاء منصتاً إلى ما حولي من أصوات متداخلة ، لي زمن لم أجلس مثل هذه الجلسة ، فأنا أعمل كثيراً ، حتى أيام الأجازة لا أعرف كيف أقضيها فأعمل ، أحاول إنجاز ما يحتاج إلى عشرات السنين في أيام قليلة لشعوري بدنو الأجل ، سيف مسلط اسمه

الموت يعيش فوق رقبتى ، يلازمنى ، حاولت الكتابة عنه لأهرب منه ، فهل أفلحت فى الهروب ؟ حين نظرت إلى ساعتى وجدتها تقترب من الواحدة ، سألتنى إن كنت قد تأخرت فقلت إننى أستطيع الجلوس أطول فترة ممكنة معها ، قالت إنها تحس بخروجها تواً من القمقم ، وقالت إنها سوف تسهرنى حتى الصباح ، وقالت إن زوجها بالفندق ويعرف بخروجها، أخبرته بعدم رجوعها إليه مرة ثانية ، لم تعد تطيق رؤيته ، تركها تخرج ولم يمنعها ، لم يثر عليها ، هو أيضاً يتركها فى الفندق وحيدة ويخرج ، يسهر حتى الصباح ويرجع مخموراً ، جاءها مرة فجراً يتطوح ، كانت بصحبته امرأة ، نسى أنها معه بنفس الحجرة ، افتعلت النوم ، رأتهما يتجردان من ملابسهما وينامان فى الفراش الآخر المقابل لها ، كانا مخمورين فلم يشعرا بوجودها ، رأت وسمعت كل شىء ، عرفت لماذا يذهب الرجال إلى هؤلاء النسوة المحترفات ، لحظة انتهائهما سمعتها تطالبه بالأجرة ، ورأتها ترتدى ملابسها قطعة قطعة ، لم تكن جميلة ، بل كانت مترهلة عند ردفيها وصدرها على الرغم من صغر سنها ، لكنها كانت تعرف كيف تفجر منابع اللذة عند الرجل ، سمعته للمرة الأولى يئن بين ذراعيها فلم تصدق أن يصدر هذا الصوت عن رجل مثل زوجها ، حين أفاق من نومه لم تخبره بما رأت وسمعت ، اكتفت بأن أخبرته بخروجها ، وأنها لن ترجع للفندق مرة ثانية ، وكان هو قد فهم ما حدث فلم يعلق ، بل أشاح بوجهه وتركها ودخل الحمام ولم يخرج حتى ارتدت هدومها ومشت . جاء الطعام فانشغلت به ، وكانت هى تمر بلحظات كآبة بدت على وجهها الذى تغضن وبدأت تنتابها بعض التقلصات الخفيفة فى شفتها السفلى رغم محاولاتها فى إخفائها والسيطرة عليها . تصور، أحرق لى أربع روايات وثلاث مجموعات من

القصص أمام عينى ، هم كل رصيدى طوال حياتى ، كنت أعدهم للنشر، قال إنه لم يتزوج أجاثا كريستى . ابتسمت فعلقت : أنا أيضاً ضحكت مثلك رغم الموقف من نطقه اسم أجاثا كريستى وقلت من أين عرف اسمها هذا الجاهل العصامى . مرة أخرى أخذت ألملم نفسى وأنسحب ، هى المرة الأولى التى أجلس فى هذا المكان مع امرأة ليست زوجتى . لم نسهر أنا وهى منذ أن تزوجنا ، انشغلنا بأشياء تافهة أنستنا أنفسنا ، الصراع الدائم من أجل لقمة العيش ، الطلبات التى لا تنتهى ، العاطفة المشبوبة تراجعت أمام الروتين اليومى . انتبهت على صوتها الصارخ : تعالَ نعمل شيئاً مجنوناً ، ما رأيك ؟

كانت تنظر فى تحفز المقدم على عمل خارق بالفعل . رأيى فى ماذا ؟ هل تعرف مكاناً نقضى فيه الساعات الباقية من الليل . لم أعلق على كلامها الذى بدا لى جنونياً بالفعل ، فلم تكن حدود العلاقة التى بيننا تطرح هذا الشكل من التعامل ، لكنى أحسست الأزمة التى تمر بها، والتى من الممكن أن تدفعها لعمل أى شيء . قلت إنها بالتأكيد مجنونة ، فذكرتنى بجنونها القديم وأنها تريد أن ترجع كما كانت ، فى غمرة خروجها المفاجئ نسيت فى الفندق جواز سفرها ، ممكن تحجز لى حجرة باسمك إلى الصباح . حدثتها عن زوجتى وقلت إننى لا أستطيع المبيت خارج المنزل ونظرت إلى ساعتى فكانت تقترب من الثالثة ، لملمت هى أشياءها الموضوعة على الترابيزة ، وضعتها فى حقيبة يدها وقامت فجأة : قم بنا نتمشى . قالتها بعصبية وتقدمتنى إلى الخارج ، كان هواء الليل منعشاً ، وكان الشارع خالياً من المارة ، وفى الميدان كانت عربة جنود تقف وبدا جنود الشرطة وهم يحملون الرشاشات وكأنهم ذاهبون للحرب . أصبح هذا المنظر مألوفاً فى كل شوارع القاهرة ، ولا أحد يعلم

ما الذى سوف يأتى به الغد . قلت وسألتها إلى أين تذهب الآن . قالت إنها لن تستطع الرجوع إلى الفندق الآن ، سوف تظن بها الظنون ، وقالت إنها تريد مكاناً به ناس ، أى ناس ، سرنا فى صمت لحظات ، وكانت هى تنظر إلى قدميها وهما تخطوان بلا هدف ، ثم إنها قفزت فجأة وفرقعت بأصابعها ودارت دورتين أمامى : اذهب بى إلى محطة مصر . قالت فتساءلتُ : وهل ستسافرين الآن : وإلى أين ؟ سوف أجلس هناك حتى الصباح . ولم تكد تكمل كلامها حتى أشارت إلى عربة أجرة فتحت بابها ورمت نفسها بداخلها ، محطة مصر يا أسطى . رميت نفسى بجانبها ونظرت هى إلىّ وضحكت فكورت أصابعى أمام جبهتى : مجنونة ، نزلنا أمام المحطة واتجهنا إلى الكافيتريا التى كانت مغلقة ، وشعرت بانقباض ، لم أكن أحب هذا المكان ، يذكّرنى دائماً بالرحيل والموت . هنا لا أشعر بالوحدة أمام كل هؤلاء البشر وحركة القطارات ، قالت واتجهت إلى أحد أرصفة القطارات واختارت مقعداً خالياً وجلست ، وضعت ساقاً فوق أخرى وسألت : معك ورق وقلم ، فتحت حقيبتى وأعطيتها ورقاً وقلماً ، وقلت ساخراً : هل ستكتبين ؟ هذا ما سوف أفعله فعلاً ، اذهب الآن فلم أعد فى حاجة إليك . قالت ومدت يدها فمددت يدى ، وكنت أبتعد حين نظرت ورائى مشيراً إليها بيدى ، لكنها لم تنتبه ، كانت قد بدأت فى الكتابة .



النضارة

مات أبو محمد بعد أن تجاوز عمره كل أعمار الخلق ولم يترك لمحمد من حطام الدنيا سوى نضارة هى كل ما كان يملكه .

وعاش محمد لا يملك شيئاً إلا إرث والده أبو محمد وهى النضارة التى كان اعتزازه بها بلا حدود ، ففى بدء حياته الخاصة مع النضارة ، كان فى كل يوم ومنذ مات الأب يخرجها من جرابها الأسود الجلدى ، ويأخذ فى تقليبها بين يديه مدة ساعة متأملاً مرة فى الشنبر الأبنوسى المطعّم بالصدف الأبيض ، ومرة فى العدستين البيضاويتين المصفرتين قليلاً ثم يهز رأسه مفرقعاً بشفتيه متأملاً الحكمة من بقاء النضارة كل هذه السنوات التى لا يعرفها إلا من عاشوها ، فمن هو صاحب هذه النضارة الحقيقى ؟ هل اشتراها ؟ فى أى زمن صُنعت ؟ وكم جيل توارثها ؟ أسئلة كانت تلح على عقل محمد كلما لامست أصابعه النضارة، وكلما أعيته الحيلة فى معرفة الإجابات على تلك الأسئلة التى كان يخيل له أنها عميقة جداً تحتاج إلى أحد الفلاسفة لفض أسرارها ، يخرج منديلاً صنعه خصيصاً لها ويدنى العدستين من فمه ، ويقوم بأخذ شهيق عميق يتركه يتجول برهة فى صدره ثم يطلقه محملاً ببخار جوفه الحار فيتكاثف على العدستين ، وبالمنديل ، وبأصابع باتت خبيرة مدربة، يقوم بالمسح حتى يطمئن تماماً أنه لا توجد ذرة واحدة من غبار عالقة بالعدستين فيطلق تنهيدة راحة ويطوى ذراعى النضارة بحرص ، ويضعها فى جرابها مرة أخرى ، ويحملها بلمسات رقيقة من أصابعه إلى حيث مكانها اللائق بها والذى اختاره بعناية فائقة . هل فكر محمد أن يرتدى النضارة فى أحد أيام حياته اللاحقة على موت والده ؟ فلماذا إذن كان يحرقه الشوق لارتدائها كلما رآها على عينى والده ؟ وهو الذى لم يكن

ليتيح له حتى لمسها .

فى نفس الحجرة التى شهدت مولد محمد من أبيه وأمه وحملت ذكريات طفولته وشبابه ، حملت أيضاً ذكرى زواجه وإنجابه لابن وحيد أصر والده على تسميته «محمد» ليكون اسمه محمد بن محمد بن محمد إلى آخر سلسال لا ينتهى ولا ينقطع ، وعاش محمد أبو أبو محمد ابن أبى محمد يربى ولده ، وقد أظلته أحداث زمانه بغيوم كثيرة نسى فى غمرتها النضارة ، وقد فكر للمرة الأولى فى حياته أنه قد آن الأوان لارتدائها بعد أن مضى من عمره أكثر مما هو آت .

هكذا بحث محمد عن النضارة فوجدها فى مكانها ، وما أن وضعها على عينيه حتى شعر بدوار ، فخلعها وقام بمسح زجاجها ووضعها مرة أخرى على عينيه ، ورأى محمد فيما يرى اليقظان مدناً ملونة لم يرها من قبل ، وبشراً ليسوا كما البشر ، وحياة أخرى لم يكن يعرفها من قبل، وفطن لإجابات أسئلته العميقة التى حار فيها طوال حياته قبل ارتداء النضارة . وصام محمد عن الطعام والشراب ولم يعد يتحدث مع امرأته وابنه الوحيد محمد ، بل كان يتحدث إلى نفسه حواراً طويلاً لا ينتهى ، وأصبح أمره لا يطاق ، هكذا قالت له زوجته أم محمد ، وأنه يفعل كما فعل أبوه من قبل الذى ظل مرتدياً نضارته حتى عدم حياته ، فما ذنبى وذنب ابنك الصغير محمد ؟

تساءلت أم محمد وهى تضرب كفاً بكف وتتحسر على حياتها معه ، لكن محمداً أبو محمد ظل مرتدياً نضارة والده صائماً عن كل شىء حتى ذبل عوده ومات دون أن يترك لمحمد الصغير سوى النضارة .

* * *

الجنــى

كنت أجلس واضعاً ساقاً فوق أخرى ، وأمامى ، وضعت علبة السجائر والولاعة ، وكان طفلى الذى لم يكمل بعد شهره الخامس ، يجلس فى مواجهتى على الكنبة بعد أن وضعت حوله مساند تجعل وضعه مستقراً ، كان ينظر إلىّ ويضحك ضحكة مبهمة ، ماكرة ، وكثيراً ما كنت أسأل نفسى كيف لطفل ابن خمس شهور أن يكون ماكراً وذا دهاء . هذا بالضبط ما كانت تنبئ به عيناه بالتماعهما الغريب كلما نظرت إليه ، المهم ، أخذت علبة سجائرى وسحبت منها واحدة أشعلتها ووضعت العلبة مكانها ، وهممت بأخذ النفس الأول حين مد طفلى يده ححيث توجد علبة السجائر دون أن يتحرك من مكانه ، فقط مد يده إلى الترابيزة التى تبعد عنه مسافة كبيرة ، لكنى بعينى هاتين رأيت ذراعه تستطيل ، ورأيته يقبض بكفه على العلبة والولاعة دفعة واحدة ، وبأصابع مدربة ، أخرج واحدة وضعها بين شفتيه وأشعلها ، ثم إنه نظر إلىّ من تحت لتحت نظرة متحدية ، وأخذ نفساً واحداً طويلاً متواصلاً توهجت على أثره السيجارة وأخذت تخرج شرراً وهى تطقطق قبل أن تتحول إلى رماد ، نظرت إليه مذهولاً وقد فتحت فمى من شدة دهشتى دون أن أنطق ، وفى اللحظة التالية أطلق نفسه فخرج من فتحتى أنفه وفمه دخاناً كثيفاً أخذ يتلوى كثعبان فى سماء الحجرة وابتلعنى داخله ، وشعرت باختناق وسمعت ضحكة مجلجلة أعقبها صهيل خيل وعواء ذئب ومواء قط يحتضر ونهيق حمار أجبر على التفكير ، وتداخلت الأصوات حتى خرجت صوتاً واحداً ممتزجاً بكل الأصوات ، كان الصوت

آتياً من ناحيته فنظرت إليه ، وحين رآني أنظر إليه أخرج لي لسانه ونتره في الهواء فأحدث فرقعة بوميض ، وبدأ لسانه يلتف حول رقبتي ، أخذت أسعل وبدأ هو يضغط بشدة على رقبتي فتدلى لساني وجحظت عيناي وكدت أفارق ، لولا أنني تشبثت بآخر ما تبقى لي من نفس ، أمسكت باللسان الملتف حول رقبتي بيد لأخفف قليلاً من ضغطه ، وباليد الأخرى شددت الجزء الملتصق بفمه شدة رجل ميت ، وكم كانت دهشتي حين انخلع في يدي رخواً طرياً ، وبدأ اللسان الحلزوني ينكمش ويتضاءل حتى عاد إلى وضعه الطبيعي ، لسان طفل لم يتجاوز شهوره الخمس بعد ورأيته يبكي، وعيناه أخذتا تنظران إلى يتوسل بينما ملامحه أخذت تتشكل بصورته كما أعرفها ، اقتربت منه ببطء وحذر ، لسانه في كفي ، مؤخرته تقطر دماً ، بينما الفم الصغير المفتوح الغارق في دمائه يتقلص ألماً ، مددت يدي باللسان وأنا أضبطه ، جعلت قاعدته في داخل الحلق ، أما طرفه المدبب فقد ثبتّه بين سقفي الحلق جيداً ، ولما انتهيت جلست في مواجهته لاهثاً من الإجهاد ، هدأت قليلاً ، ثم أنني أشعلت سيجارة ، وبينما آخذ نفساً وأتأمل ملامحه ، نظر إلي وابتسم وقال لي : إغه . وذراعاه الصغيران تدعواني لحمله ، وفي لحظة ، كان غائباً في حضني لكن ما حدث بعد ذلك كان أعجب ، كان الوقت مساء الخميس ، وكان التليفزيون يعرض في فيلم السهرة "بين الأطلال" وهذا الفيلم تحديداً أحفظه ، ولكني جلست أتابع باهتمام المؤلف الشهير الجالس على الشاطئ يكتب روايته الجديدة ، بينما فتيات الشاطئ الجميلات يتحلقن من بعيد يتفرجن عليه ويتأملن انهماكه في التأليف

وكل منهن تتمنى نظرة منه ، وهو غير ملق بالاً لكل من حوله . كنت أحب هذه اللقطة ، فقد شكلت فى خيالى حكايات ومغامرات عن عالم الكتابة والكتاب ، وكم تقت أن أكون مؤلفاً مشهوراً لأجل هذه اللقطة ، فقد تتكرر معى وأجد نفسى محاطاً بكل هذا الجمال الارستقراطى الرفيع، بيبيبه ، ما علينا ، المهم أننى غمزت لزوجتى بطرف عينى وأشرت إلى الولد الذى أخذ يتسحب هنا وهناك محدثاً جلبة ، وهمست لها : حاولى أن تنيميه ، فما كان منها إلا أن حملته وضمته إلى صدرها وهى تهدهده وتغنى له ، وظلت على هذه الحال مدة ساعة كاملة انتهى خلالها الفيلم العربى والإرسال التليفزيونى كله ، فهل نام ؟ كنت أظن ذلك حين لمحت إغماضة عينيه وصوت تنفسه المنتظم فأشرت لها بأن تضعه فى السرير الوحيد الذى نملكه ، فوضعته ووقفت تتزين أمام المرآة، ثم إنها اندست فى الفراش بجانبى ، وكنت أهم بمداعبتها حين لمحته فى ظلام الحجرة ، عيناه كانتا تنظران لى بينما بريقهما أرعبنى ، تسمرت ولم أتحرك فى مكانى ، وظنت هى أن شيئاً قد حدث لى فقالت مالك . أشرت هامساً انظرى ، ولما نظرت ولمحت عيناه نفخت فى الهواء قائلة : ابنك خلفة قرود ، شيطان فى صورة طفل ، وبينما تحاول إنامته مرة أخرى ، إذ به ينتصب جالساً فجأة ويتخطى أمه ويندس بيننا . سحبت الغطاء . فوق رأسى معطياً لهما ظهرى وأنا أنفخ من الغيظ ، وعلى الفور بدأت أنصرف بذهنى إلى هناك ، حيث النساء كلهن جميلات ، وحيث كل شىء مباحاً بمجرد استدعائه وتخيله ، وأخذت أجمع امرأة ليس كمثلها امرأة على ظهر الأرض ، وقد اخترت من كل جميلات

الدنيا أحسن ما فيهن وأجمل ما اشتهرت به ، وكنت أهم بمداعبتها حين حدث الآتى : أظلمت شاشة ذهنى فجأة وتوقف كل تفكيرى ، وسمعت صوتاً آتياً من بعيد هامساً وواضحاً : عيب يا بابا . كان صوته ولمحت عيناه تنظران نحوى بتحد وهما تلمعان وسط الظلام ، بينما أمسك فى إحدى يديه مقص كبير يقطر دماً ، فى يده الأخرى لمحت قطعة من الأحبال الدقيقة ملتفة حول نفسها ملوثة بالدماء أشار إلى ما فى يده قائلاً : كل أحلامك فى يدى الآن ، عيب يا بابا ما كنت تهم بفعله .

قمت فزعاً أكاد أبكى من شدة الغيظ ، تلفت أبحث عنه ، كان نائماً بجوارى يغط فى نومه ، تعجبت وناديت على زوجتى ، كانت هى أيضاً غارقة فى النوم ، سحبت الغطاء وتأهبت للنوم مرة أخرى حين صحت هى فجأة وأخذت تتلفت حولها بينما صدرها يعلو ويهبط انفعالاً ، بعد أن هدأت قليلاً قالت غريبة . قلت ما هو الغريب . حلمت حلماً عجيباً ، قلت لأجعلها تكمل : اللهم اجعله خيراً ، أشارت إليه وقالت كنت أحلم حين انقطع الحلم فجأة وسمعت من يقول لى عيب ياماما ، كان صوته ، لكنى لم أره وكنا ننام حين نظرنا إليه فلمحنا ابتسامة ماكرة تعلو وجهه النائم .

* * *

الفهرس

١ - حكايات الديب رماح - قصص

طبعة أولى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧

طبعة ثانية - مركز الحضارة العربية - ١٩٩٥

٢ - حرب أطاليا - قصص - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٨

٣ - كتاب التوهمات - رواية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٢

٤ - العاشق والمعشوق - رواية - دار شرقيات ١٩٩٤

٥ - كتاب الفتوح الكبرى المعروف بحرب بلاد نمنم - قصص - مركز الحضارة العربية ١٩٩٥

٦ - الفاشوش فى حكم قراقوش .

نصان لابن مماتى والسيوطى - إعداد وتقديم - مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر

قيد النشر

١ - قمر الأقمار - رواية

٢ - مختارات من القصص الشعبى فى مصر .